المحاضرة العاشرة

من أعلام الأدب الصوفي الجزائري:

ثالثا/ أحمد بن مصطفى العلوي[1]:

1- سيرة حياته:

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى بن عليوة المعروف بالعلاوي المستغانمي مولدا ونشأة، ولد بمستغانم عام 1869 وتوفي بها سنة 1934، تعلم مبادئ الكتابة وسور من القرآن على يد والده الحاج مصطفى،الذي كان معلما للقرآن الكريم، فانتهى به الحفظ إلى سورة الرحمن ، ثم اضطر إلى ممارسة التجارة ليعول عائلته خاصة بعد وفاة والده، وهو في سن مبكرة, إلا أن ذلك لم يمنعه من الانكباب على ملازمة الدروس ليلا رفقة جماعة من الطلبة في الفقه، والتوحيد، والتفسير على يد جماعة من مشايخ المدينة، إلى أن التقى بأستاذه الروحي الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي ، فلازمه إلى أن وافته المنية سنة1909 ،وكان قد قضى في صحبته نحو خمس عشرة سنة، فبويع بعده بالخلافة على رأس الطريقة الدرقاوية بمستغانم ونواحيها،حوالي عام 1909 ،وخلال بداية العقد الثاني من القرن العشرين، أسس الطريقة العلاوية، معلنا بذلك عن ميلاد طريقة روحية جديدة في أساليبها، عريقة في أصولها، عراقة الرسالة المحمدية. فعمل خلال هذا الإطار إلى إبراز الزاوية في شكل يتلاءم ومستجدات العصر الحديث مع الحفاظ على دورها التربوي الروحي، فسارع إلى بناء زاوية جديدة تجمع جملة من المرافق من أجل تبليغ رسالته التربوية والاجتماعية كأقسام الدراسة والمطبعة والمخبزة، واستقطب إليها نخبة من العلماء في التفسير،و الحديث،و أحكام الفقه،و اللغة العربية. وقد أثرى الشيخ الحياة الفكرية بالجزائر، والوطن العربي والإسلامي عموما، بما خلف من آثار أدبية وأعمال جليلة اجتماعية ووطنية، واكبت نهضة الأمة الجزائرية في تلك الفترة بل وحتى نهضة الأمة العربية والإسلامية عموما.

2- مؤلفاته:

وهي مؤلفات عديدة في التصوف، والفقه،و التفسير، و الشروح، والنقد،والفلسفة، والفلك، ويدخل ضمن هذه الدائرة الرسائل والردود. سنكتفي بذكر المصادر التي اعتنت بالكتابة عن التصوف والدفاع عنه. نذكر منها:

- ***رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف***

نشرت الرسالة أول الأمر في أعداد من صحيفة البلاغ الجزائري بامضاء الناصر معروف بقلم الإمام المرشد الشيخ أحمد بن المصطفى العلاوي ، فقام الشيخ محمد بن الهاشمي التلمساني بجمع تلك الفصول وطبعها في رسالة مستقلة وذيلها بتقاريظ العلماء الأجلة في المشرق والمغرب انتصارا للحق، وقياما بواجب التعاون على البر والتقوى.، وحماية لبيضة الدين أن تعبث به يد الأشرار.و الرسالة رد على ما نشره أحد علماء المدينة المنورة في مجلة الشهاب عدد 174 من الهجوم على شرف القوم الصوفية والتنكيل بكرامتهم. فكان الرد عنيفا مفحما يمثله البيت التالي: يا ناطح الجبل العلي لتوهنه *** أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

- ***رسالة القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف***

وهي رسالة لم تزل كوكبا ذريا تهدي الحائرين بنورها الوهاج، وعباراتها الشافية، وبراهينها الدامغة في تحقيق مذهب التصوف والرد على منكريه مثال الفقيه الشيخ عثمان بن مكي التونسي صاحب المرآة لإظهار الضلالات..فرد عليه الأستاذ العلاوي بهذه الرسالة المدعمة بالنصوص القاطعة، والآثار الصحيحة التي لا ينكرها إلا معاند جحود رضي بالقعود مع الخوالف فطبع على قلبه بالإنكار كل ذلك بأسلوب محكم، وعرض منطقي سليم.

- ***الديوان***

و هو مجموعة من القصائد الشعرية في التصوف والأخلاق تدور في معظمها حول التغني بجمال الحضرة الإلهية والحضرة المحمدية، كما تعبر عن المعاني المتداولة لدى السادة الصوفية، ووصف أحوالهم ومقاماتهم.

- ***المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية (جزآن***

لا أدري أي الكتابين أجل؟ وأي الكاتبين أعظم؟ صاحب الحكم الغوثية: أبو مدين شعيب أم شارحها الأكبر : أحمد ابن مصطفى العلاوي؟ وكلا الرجلين قطب في عصره، إمام في فنه، وكلا الكتابين فريد في نوعه، غريب في شكله، وحيد في مضمونه، فهما عمدة السالك وغاية الواصل ومنهاج المريد لأنه يضم بين دفتيه لب الحقيقة ومنهاج الطريقة. والكتاب بشقيه بحر يعج بأنواع الأصداف والجواهر.فعلى القارئ أن يحسن الغوص ليستخرج للناس ما يشتهون ولنفسه ما يحبه ويرجوه.

- ***المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية***

كتاب من أنفس ما خلفه الشيخ العلاوي من تراث علمي، بل أنفس الكتب في علم القوم(الصوفية). فقد وفقه الله لفتح مغلقات"المرشد المعين " المعروف ب ابن عاشر الذي يحتوي ظاهرا على أركان الدين، وباطنا على مسلك من مسالك الإشارة غريب، وإن كان هذا العلم دقيقا، والخوض فيه لا يطيقه إلا أهل التحقيق، ومن ثمة فالكتاب يعد مفخرة من مفاخر الثرات الصوفي، التي ظهرت في عهد النهضة بالجزائر، وقل أن يوجد لها نظير في غيرها من البلاد العربية والإسلامية.

- ***معراج السالكين ونهاية الواصلين***

مخطوط نفيس ينشر لأول مرة بعد أن ظل مجهولا قرابة الثمانين عاما وهو من مؤلفات الأستاذ التي كتبها في ميدان التصوف حسبما تشير إليه الصفحات الأخيرة من المخطوط، يشرح فيه الأستاذ منظومة شيخه مربي السالكين محمد بن الحبيب البوزيدي، على طريقة أهل الأذواق، حسبما يقتضيه الاستغراق في الحضرة الإلهية المعبر عنها بالفنا، وهو مقام السادات الأبرار من أفراد الأمة المحمدية، وفي هذا البحر يسبح الأستاذ، ويسبح معه تلميذه، وخليفته من بعده.

- ***منهاج التصوف والتعرف إلى حقيقة التصوف***

مقتبس من كتاب الرسالة العلاوية تحتوي هذه الطبعة على منظومتين: الأولى للشيخ أحمد بن عليوة، ضمنها التعريف بالتصوف وحقيقته وأركانه، وآداب المريد، وصفات الشيخ السالك المرشد إلى طريق الله على نعث المشاهدة والعيان. والثانية من منظومة (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) للشيخ الفقيه العارف عبد الواحد بن عاشر الأندلسي الفاسي المتوفي سنة 1040 هجرية. ضمنها مجموعة مبادئ في علم التصوف، وفاء بما وعد به في صدر المنظومة حيث قال: في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك وهدفه تصحيح مقامات التقوى، وتطهير القلب من الأوصاف المذمومة، وتزكية النفس والأخذ بعزائم الشرع الشريف.

3- **نماذج من أدبه الصوفي:**

سنستعرض في هذا الجزء نماذج من شعره الصوفي؛ والتي احتوت موضوعات مختلفة مستحضرا رموزا عدة، كشفت عن حس وذوق صوفي نابع عن تجربة صوفية فريدة تميز بها أحمد بن مصطفى العلوي:

فيا ليت شعري ما الحبيب الذي نرى ... فهل طلبت غيري أن نفسي مطلوبتي
فإن كنت ذاك أنا بل حبي أردته ... فمطلوبي من نفس ي و إلّي غايتي
و هل هذا ممكن في نفسي كائن ... مطلوب وطالب في نفس واحدة
فهذا عشق المعشوق في العشق حيرة ... وكان حب الحبيب يرى من زلة
فكيف يكون الحب إن كان واحدا ... ومتى يكون القرب في الفرد المثبت[2]

ومن سمات تصوف أحمد بن مصطفى العلاوي أنه آثر الصمت والكتم في علاقته مع الذات الإلهية صونا لأسرارهم و معارفهم، وفي هذا الصدد يقول:

أردتم توحيدا و منا طلبتم ... فلو قلنا ما التوحيد عنّا فررتم
و لكّن في الفؤاد أمر محّجب ... فلا يرى شيء منه إلا ما رمتم
تالله لهو الحق و القصد و المنى ... فعنه غفلتم و في الغفلة دمتم
فتوحيده عين العيون قاطبة ... فمن عرف التوحيد للسّر يكتم[3]

ويقول في رمز " الخمرة"

يا معشوقة ليس لك سبقا ... ياخميرة الأصل العتيق
رفقا بمن يرتضيك رفقا ... مهلا لا تؤاخذي العاشق
إن كنت بحبك لا نشقى ... كيف بي إذا صرت وثيق
كنا و الكون كان في رتقا ... قبل فتق الفتق و التفريق
فلعزتك ذلي يبقى ... وخضوعي و دمعي دفيق
و إن فنيت بحبك نبقى ... وإن بقيت نبقى رقيق
و إ نّ وصلك يقتضي عتقا ... فالعتق نخشى به التفريق
فيا خيبتي إن عدمت اللقا ... ويا بشراي إن حزت التحقيق[4]

فخمرته الصوفية تعبر عّما ذاقه الصوفي من المعارف الإلهية، و عما كشفت به من الأسرار بعدما حصل له الأنس بالمحبوب والقرب منه، مما جعل حضوره وشهوده يبقى للحق واتصاله به.

يعتبر الشيخ العلاوي من كبار صوفية القرن العشرين باعتباره مجدداً للتصوف ومربيا روحيا قديرا أخذ بيد الكثيرين الذين توافدوا عليه من مختلف الأقطار، ففتح الله عليهم وأصبحوا من أهل التصوف، فقد أثرى الشيخ العلاوي الحياة الروحية والفكرية في القرن العشرين بما خلفه من آثار في التصوف والشعر الصوفي والتوحيد و الفقه وعلم الفلك والفلسفة والتفسير، كرس الشيخ العلاوي حياته مجتهداً في طريق الله و خدمة الإنسان، وتوجيهه لما يصحح رابطته مع الله ومع بني جنسه، ودعا إلى الحوار بين الأديان ونبذ الخلافات المذهبية، وتعميق فكرة التواصل والتسامح ونشر السلام والمحبة، وترسيخ قواعد التوحيد، تلك القيم التي استمرت قائمة على يد خلفائه بزاويته الكبرى بمستغانم و أتباعه المنتشرين في مختلف أنحاء العالم.

المصادر والمراجع (الاحالات):

[1] تم استقاء سيرة الشاعر من المصادر التالية: تاريخ الزيارة: 10/12/ 2018

- http://albordj.blogspot.com/2010/03/blog-post_1363.html
- http://www.shazellia.com/articles.php?article_id=11
- https://www.assoalawimaroc.com/?p=19
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%8A

[2] أحمد بن مصطفى العلاوي، ديوان آيات المحبين ومنه السالكين، الطبعة 04، المكتبة الدينية للطريقة العلاوية، مستغانم، ص : 29. 30.

[3] أحمد بن مصطفى العلاوي: الديوان ، ص : .44.

[4] أحمد بن مصطفى العلاوي : الديوان ص : 45.